فى معبد الشاعر المصري

للأستاذ ابراهيم صبرى

مترجمة بقلم الأستاذ عثمان على عمر

إبراهيم صبرى : شاعر موهوب من شعراء اللغة التركية ، وهو يعيش فى مصر فى غربة متصلة أكثر من عشرين عاماً ، يعيش فى داخله لا أنيس له إلا شيطان شعره . شاعر يترنم أو ينوح لنفسه . شعلة تتوهج لا يراها إلا الظلام الدامس ، يا للعجب !

ثم انتقل الشاعر إلى جو جديد من الشعر بين صحابة يعيشون فى بلادهم فى غربة كغربته . استمع الشاعر التركى إلى أنين الشعر العربى الذى تأثر فى جو « المعبد » وأصغى إلى الترنم الحزين الذى اشتركت فى إيقاعه نفوس تحن فى غربتها ، وتلقف روح الآلام الغريبة فعانقها بشوق وصبابة

احترقت النفوس فى نار الغربة المستعرة ، وحول دخانها العطرى طافت أشباح الصحابة : « الشاعر محمود حسن إسماعيل الذى تهدى إليه القصيدة ، ويحيى ... ، وسعيد ... ، وعبد السلام ... ، وعبد الرحيم .. ، والشاعر التركى إبراهيم صبرى ، ومحمود ... وعثمان ... » . وفى معبد الغربة المحترقة أقيمت شعائر الألم المتوهج ، والأحزان المتضرمة ، وانبعثت روح العطر تتصاعد من نار غريبة متأججة ، ومن هذا الجو المشتعل قبس الشاعر التركى لأشعاره ناراً خالدة أضاء بها زاوية من المعبد قد نامت فيها ساعة من الزمن فرت إليه من جنة الخلد .

(عثمان)

ذات يوم حوّم شيطان شعرى فى جوّ حياتى ، وحدّثنى حديثاً من الشعر ، قال :

« لقد اتخذتُ من أودية الحقيقة مسكناً وبقيتُ فيها إلى الآن ، فليكن هَدَفُ جناحَك الذى يُسِفُّ بك إلى الأرض جوّاً جديداً متعاليا . ولا ريبَ أن السموات الحرّة لا تُشبه مَنفاكَ الضيق ، فليرافقنى يَراعك محلّقاً فى سماء الخيال ، ليطّلع على المعنى الخفىّ فى « ديوان » الفلك ، فيكتب أشعاراً أسطورية

دَعْ عنك هذه الأفكار التى صوّرْتَ بها هذه الأرض البالية ، وليكن لونُ أشعارك من لونِ الفجر والشفق ، ولتكن أنغامُ نظمك من وزن نظام النجوم »

* * *

وإذا بقوة سحرية قد تسلطت على سمعى وخيالى فمَرَجْتُ إلى السماء كأنى فى غيبوبة ، واحترقت روحى بلهيب لا يُرى ، وتصاعدت كالبخار حتى انتهيت إلى السحاب . وكانت نظرتى هى صلتى الأخيرة بالأرض التى احتجبت وراء الغيوم . لا أدرى كم مكثتُ فى الظلام حين وجدت نفسى فى ساحة معبدٍ التقيت فيه بشيطان شعرى ؟ وبدا لى أن هذا المكان الذى يسمى « المعبد » كأنه يحتوى على الدهر : قبته رأس شاعر عبقرى شيد عرشه السامى فى مملكة الخيال ، وقد بسط سلطانه على دولة الشعر ، اشتعلت نار العبقرية فى رأسه كالبركان فتألق جو المعبد بأضواء هذه النار . وبعد لحظة ترددت فى المعبد أنغام وألحان ، وتقدمت لاستقبالنا حور أمسكن بأيديهن مجامر البخور ، فانتقلنا إلى عالم خرافى يفوح بالعطر ، وقد تربع الشاعر منزوياً بغير اكتراث فى زاوية الصمت ، وأمامه موقد النار قد وضع على حجر سحرى . من نظر إلى هذه النار خيل إليه أنها صِيغتْ من الشمس لأنها تتوهج بضياء كأنه احتوى على لألاء النجوم . وكأن الشاعر قد أذاب العلوم وألقاها فى سعيرها فتصاعد دخان براق يتمثل فيه الذكاء . أنشأ فى الجو قوساً متموجاً تَخَال أمواجه مصقولة من لجين وعسجد ، فاعتلى الشاعر هذا القوس وبيده آيات شعره ، بينما رقصت أشباح أبدعت فى الرقص وغنت بألحان لا تسمع . كأن فى حلقات الدخان معانى مبهمة أحاطت بالنفوس فأثارت فيها عاطفة سامية غير بشرية تكاد تشبه السكر ، لو أن السكر يأتلف مع العبقرية . كان بريق النظرات وهّاجاً بينما كانت الأجسام خامدة كأنها احترقت بطلسم ، تاركة الروح وحدها .

* * *

رقص الشاعر مع شيعته كأنهم يتهادون فى الفضاء ، وأقام شعائر المعبد ، ثم أطرق كأنه يسجد . ولو أقامها كاهن مجوسى لما أبدع كما أبدع ، ولما اهتزت له أركان المعبد كما اهتزت للشاعر ، وكأنما الشاعر يستمد ألهامه من الهند والصين ، فهو ينشر فى جوّه من محرابه خيالات تتضوّع بالعطر ، فتسرى فى نظمه قوة سحرية تجعل قوافيه تتجلّى فى صورة بوذا

* * *

اجتمعت بالشاعر فى ساحة المعبد ، وتآلفت روحى مع أرواح